

إتحاف الأنام

بخمسين فائدة من حديث
تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ □

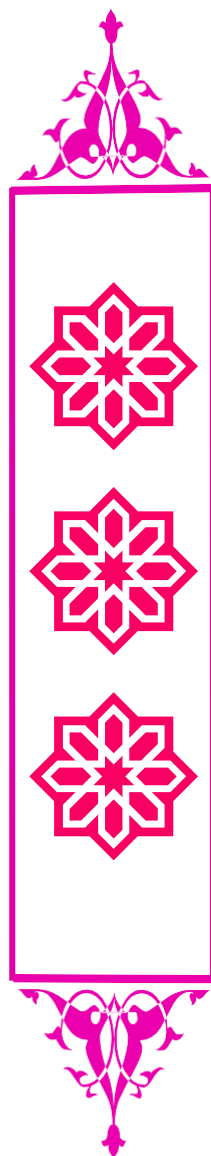
تأليف

□ أبي عبد الرحمن

□ خليل بن عبد الله بن أحمد الحمادي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حقوق الطبع مسموحة لكل مسلم



وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله **صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً**.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

﴿ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧١].

أما بعد:

فقد بوب الإمام البخاري **رَحِمَهُ اللَّهُ** في صحيحه: «بَابُ: إِطْعَامُ الطَّعَامِ مِنَ الْإِسْلَامِ».

ثم قال **رحمهُ اللهُ**: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ خَالِدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ يَزِيدَ، عَنْ أَبِي الْخَيْرِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ».

وأخرجه مسلم من نفس الطريق.

وفي هذا الحديث فوائد عظيمة، جليلة القدر، وقفت عليها فأحببت أن أتحف إخواني بها لعل الله أن ينفعني وإياهم بها.

وهذه الفوائد بعضها مستخلص من كتاب فتح الباري لابن حجر العسقلاني **رحمهُ اللهُ** ومن غيره من الشروح، وبعضها مما فتح الله بها على كاتب هذه الوريقات، وقد حاولت أن أوضح كل فائدة بم يناسبها من الأدلة بدون إسهاب ولا إطناب، لكي يتم المراد من هذه الوقفات.

ونسأل الله أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه.

أولا فوائد الإسناد

الفائدة الأولى:

أنَّ رواته كلهم مصريون وهذا من الغرائب لأنه في غاية القلة.

فعمر هو ابن خالد الحرائي مصريُّ ثبت ثقة.

والليث هو الليث بن سعد الفهمي، ثقة ثبت فقيه إمام مشهور.

وفهم من قيس عيلان، ولد بقرقشدة قرية على نحو أربعة فراسخ من مصر.

وكان قد استقل بالفتوى في زمانه.

ويزيد هو يزيد بن قيس الأزدي، يلقب بابن أبي حبيب.

كان مفتي أهل مصر في زمانه

وأبو الخير هو مرثد بن عبد الله اليزني، أبو الخير المصري، ثقة.

كان مفتي أهل مصر في زمانه.

الفائدة الثانية:

أن رواته كلهم أئمة أجلاء

وقد سبق تعريفهم في الفائدة السالفة الذكر.

الفائدة الثالثة:

أنَّ كلَّ واحدٍ منهم كان مفتيًا لأهل مصر في زمانه؛ خلا عمرو ابن

خالد.

وهذا من لطائف هذا الحديث.

ثانيا فوائد الحديث:

الفائدة الأولى:

عَظَمَ الْجَمْعَ بَيْنَ هَاتَيْنِ الْخَصْلَتَيْنِ:

فقد جمع النبي ﷺ بينهم في أكثر من حديث وبين أن صاحب هاتين الصفتين له فضائل عظيمة نسوق بعضها مستعينين بالله:

(١) أن الجمع بينهما من موجبات الجنة:

فقد روى "البيهقي في الشعب" من حديث هَانِيٍّ بْنِ شُرَيْحٍ (رضي الله عنه)، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ يُوجِبُ لِي الْجَنَّةَ، قَالَ: «عَلَيْكَ بِحُسْنِ الْكَلَامِ، وَبَذْلِ الطَّعَامِ». (١)

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اعْبُدُوا الرَّحْمَنَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَأَفْشُوا السَّلَامَ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ». (٢)

(٢) أن من جمع بينهما رفع الله درجاته في الجنة:

روى "الترمذي في جامعه" من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ (رضي الله عنهما)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَتَانِي اللَّيْلَةُ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، - قَالَ أَحْسَبُهُ فِي الْمَنَامِ - فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ هَلْ تَذَرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟» قَالَ: «قُلْتُ: لَا»، قَالَ:

(١) (صحيح) صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٩٣٩)

(٢) (صحيح) رواه الترمذي وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥٧١)

«فَوَضَعَ يَدُهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَهَا بَيْنَ ثَدْيَيْ» أَوْ قَالَ: «فِي نَحْرِي، فَعَلِمْتُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، هَلْ تَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟ قُلْتُ: نَعَمْ، فِي الْكُفَّارَاتِ، وَالْكَفَّارَاتُ الْمُكْتُ فِي الْمَسَاجِدِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، وَالْمُشْيُ عَلَى الْأَقْدَامِ إِلَى الْجَمَاعَاتِ، وَإِسْبَاغُ الْوُضُوءِ فِي الْمَكَارِهِ، وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ عَاشَ بِخَيْرٍ وَمَاتَ بِخَيْرٍ، وَكَانَ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَيَوْمٍ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِذَا صَلَّيْتَ فَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ، وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ، وَإِذَا أَرَدْتَ بَعِيدَكَ فِتْنَةً فَافْضِنِي إِلَيْكَ غَيْرَ مَفْتُونٍ، قَالَ: وَالْدَّرَجَاتُ إِفْشَاءُ السَّلَامِ، وَإِطْعَامُ الطَّعَامِ، وَالصَّلَاةُ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ» (١).

(٣) أَنْ لَمَنْ جَمَعَ بَيْنَهُمْ غَرْفًا فِي الْجَنَّةِ يَعْبُزُ الْوَاصِفُونَ عَنْ وَصْفِهَا.

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مَسْنَدِهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرْفَةً يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا» فَقَالَ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ: لِمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «لِمَنْ أَلَانَ الْكَلَامَ وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ وَبَاتَ لِلَّهِ قَائِمًا وَالنَّاسُ نِيَامٌ» (٢).

(٤) أَنْ الْجَمَعَ بَيْنَهُمْ بِرُّ الْحَجِّ، لَمَنْ أَرَادَ الْحَجَّ الْمَبْرُورَ.

(١) (صحيح) صححه الألباني في الإرواء (٦٨٤).

(٢) (صحيح) صححه الألباني في المشكاة (١٢٣٢).

روى الإمام أحمد في مسنده عن جابر رضي الله عنه قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْحُجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ». قَالُوا يَا نَبِيَّ اللَّهِ مَا الْحُجُّ الْمَبْرُورُ قَالَ: «إِطْعَامُ الطَّعَامِ وَإِفْشَاءُ السَّلَامِ». (١)

(٥) أنَّهما من أهون الأعمال التي ينال العبد به الفضيلة.

جاء في شعب الإيمان عن عبادة بن الصَّامِتِ، قَالَ: بَيْنَا أَنَا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «الْإِيمَانُ بِاللَّهِ، وَتَصَدِيقُ بِهِ، وَجِهَادٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَحُجٌّ مَبْرُورٌ». فَلَمَّا وَلَّى الرَّجُلُ قَالَ: «وَأَهْوَنُ عَلَيْكَ مِنْ ذَلِكَ، إِطْعَامُ الطَّعَامِ، وَلَيْنُ الْكَلَامِ، وَالسَّامَحَةُ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ» فَلَمَّا وَلَّى الرَّجُلُ قَالَ: «أَهْوَنُ عَلَيْكَ مِنْ ذَلِكَ، أَنْ لَا تَتَّهِمَ اللَّهَ فِي شَيْءٍ فَضَاهُ عَلَيْكَ». (٢)

الفائدة الثانية والثالثة:

أنَّ السلام سلامة للسان

وإطعام الطعام سلامة لليد

فإن العبد المسلم إذا أكثر من السلام وألان الكلام سلّم الناس منه ومن لسانه في الغالب، وإذا أكثر من إطعام الطعام؛ سلّم الناس من يده في الغالب أيضًا،

(١) (صحيح) صححه الألباني في الترغيب (١١٠٤).

(٢) (صحيح) صححه الألباني في الترغيب (١٣٠٧).

ولهذا أورد البخاري رحمه الله قبل هذا الحديث حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ».

وقال الحافظ في الفتح (١/ ٥٦):

"ويمكن التوفيق بأنهما متلازمان إذ الإطعام مستلزم لسلامة اليد، والسلام لسلامة اللسان قاله الكرمانى وكأنه أراد في الغالب". اهـ

قلت: وفي هذا الترتيب للأبواب والأحاديث دلالة على عظيم فقه الإمام البخاري رحمه الله واتساع مداركه وفهمه، وكأنه يقول: أولاً كف يدك ولسانك عن أذية الناس فإن هذا يريح قلوبهم، ثم أتبع هذا الإمساك عن الأذى ببذل نقيضه وهو الكلام الطيب وإطعام الطعام فإن هذا يفرح قلوبهم فتكون بهذا جمعت بين إراحة الناس من أذاك وإسعادهم بإطعامك وكلامك الطيب.

الفائدة الرابعة:

باجتماع الإطعام وإفشاء السلام يجتمع الإحسان بالقول والفعل، وهو أكمل الإحسان.

قال ابن رجب في فتح الباري (١/ ٢٠):

"وجمع في الحديث بين إطعام الطعام وإفشاء السلام، لأنه به يجتمع الإحسان بالقول والفعل وهو أكمل الإحسان". اهـ

الفائدة الخامسة:

أَنَّ الإحسان بالقول أعظم من الإحسان بالطعام، فإذا ساء القول؛
أبطل الإحسان بالعمل:

قال ابن رجب في شرح حديث اختصام الملاء الأعلى (ص: ٨٣):

"وإنما جمع بين إطعام الطعام ولين الكلام ليكمل بذلك الإحسان إلى الخلق
بالقول والفعل، فلا يتم الإحسان بإطعام الطعام إلا بلين الكلام وإفشاء السلام،
فإن أساء بالقول بطل الإحسان بالفعل من الإطعام وغيره كما قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا
الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُبْطِلُوا صِدْقَتِكُمْ بِالْمِثْلِ وَالْأَذَى﴾ [سورة البقرة: ٢٦٤] . اهـ

الفائدة السادسة:

أن أبواب الخير كثيرة ولا تكاد تحصى

فأبواب الخير والله الحمد كثيرة منها ما يكون بالأقوال، ومنها ما يكون
بالأفعال، جاء في صحيح ابن حبان عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ:
«لَيْسَ مِنْ نَفْسِ ابْنِ آدَمَ إِلَّا عَلَيْهَا صَدَقَةٌ فِي كُلِّ يَوْمٍ طَلَعَتْ فِيهِ الشَّمْسُ»، قِيلَ: يَا
رَسُولَ اللَّهِ، وَمِنْ أَيْنَ لَنَا صَدَقَةٌ نَتَصَدَّقُ بِهَا؟، فَقَالَ: «إِنَّ أَبْوَابَ الْخَيْرِ لَكثيرةٌ:
التَّسْبِيحُ، وَالتَّحْمِيدُ، وَالتَّكْبِيرُ، وَالتَّهْلِيلُ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ،
وَتُحْيِيَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَتُسْمِيعُ الْأَصَمِّ، وَتَهْدِي الْأَعْمَى، وَتُدِلُّ الْمُسْتَدِلَّ عَلَى

حَاجَّتِهِ، وَتَسْعَى بِشِدَّةٍ سَاقِيكَ مَعَ اللَّهْفَانِ الْمُسْتَعِيثِ، وَتَحْمِلُ بِشِدَّةٍ ذِرَاعَيْكَ مَعَ الضَّعِيفِ، فَهَذَا كُلُّهُ صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَى نَفْسِكَ» (١).

فالحمد لله الذي جعل لنا كلَّ هذه الأبواب من الخير فيعمل العبد المسلم كل ما قدر عليه من الخير مما وفقه الله له وسهله له، فإذا لم يؤجر من باب أجر من آخر، وهذا من فضل الله علينا وعل الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون.

الفائدة السابعة:

أَنَّ الْقَلِيلَ مِنَ الْخَيْرِ قَدْ يَحْصُلُ بِهِ عَظِيمُ الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ
فلا يحتقر العبد المسلم باباً من أبواب الخير، فإنه لا يعلم أي العمل الذي يدخله الجنة، ولنتذكر قصة ذلك الرجل الذي يتقلب في الجنة بعمل قد يحقره كثير من الناس.

فقد أخرج مسلم عن أبي هريرة **رضي الله عنه**، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **ﷺ**: « **مَرَّ رَجُلٌ بِغُصْنٍ شَجَرَةٍ عَلَى ظَهْرِ طَرِيقٍ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا تُحْيِيَنَّ هَذَا عَنِ الْمُسْلِمِينَ لَا يُؤْذِيهِمْ فَأَدْخَلَ الْجَنَّةَ.** »

وفي رواية له: « **لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَتَقَلَّبُ فِي الْجَنَّةِ، فِي شَجَرَةٍ قَطَعَهَا مِنْ ظَهْرِ الطَّرِيقِ، كَأَنَّهُ تُؤْذِي النَّاسَ.** »

قال صاحب مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح:

" وفيه: إن قليل الخير يصل به كثير الأجر ". اهـ

الفائدة الثامنة:

أن السلام مما يُقصدُ به وجه الله، فلا يتبع الإنسان فيه هواه

ولهذا قال النووي في شرح مسلم (٢ / ٣٦):

" وَأَنَّ سَلَامَهُ لِلَّهِ لَا يَتَّبِعُ فِيهِ هَوَاهُ وَلَا يَخْصُ أَصْحَابَهُ وَأَحْبَابَهُ بِهِ ". اهـ

الفائدة التاسعة:

أن السلام أمان للناس فإذا سلّمتَ من الناس منك، ووجب عليك

تأمينهم من قبلك فلا يجدون منك إلا السلامة.

قال ابن القيم في بدائع الفوائد (٢ / ١٣٣):

" وأما السؤال الأول " وهو ما حقيقة هذه اللفظة فحقيقتها البراءة والخلاص

والنجاة من الشر والعيوب وعلى هذا المعنى تدور تصاريফها فمن ذلك قولك:

"سلمك الله وسلم فلان من الشر ومنه دعاء المؤمنين على الصراط رب سلم اللهم

سلم " ومنه سلم الشيء لفلان أي خلص له وحده فخلص من ضرر الشركة فيه قال

تعالى: ﴿صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ﴾ أي

خالصا له وحده لا يملكه معه غيره ومنه السلم ضد الحرب قال تعالى: ﴿وَأِنْ جَنَحُوا

لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾ لأن كلاً من المتحاربين يخلص ويسلم من أذى الآخر ولهذا يبنى

منه على المفاعلة فيقال: المسالمة مثل المشاركة ومنه القلب السليم وهو النقي من

الغل والدغل وحقيقته الذي قد سلم لله تعالى وحده فخلص من دغل الشرك وغله ودغل الذنوب والمخالفات بل هو المستقيم على صدق حبه وحسن معاملته فهذا هو الذي ضمن له النجاة من عذابه والفوز بكرامته ومنه أخذ الإسلام فإنه من هذه الهادة لأنه الاستسلام والانقياد لله تعالى والتخلص من شوائب الشرك فسلم لربه وخلص له كالعبد الذي سلم لمولاه ليس فيه شركاء متشاكسون ولهذا ضرب سبحانه هذين المثليين للمسلم المخلص الخالص لربه والمشارك به ومنه السلم للسلف وحقيقته العوض المسلم فيه لأن من هو في ذمته قد ضمن سلامته لربه ثم سمي العقد سلماً وحقيقته ما ذكرناه فإن قيل: فهذا ينتقض بقولهم للديغ سليماً قيل: ليس هذا ينتقض له بل طرد لما قلناه فإنهم سمعوه سليماً باعتبار ما يهيمه ويطلبه ويرجو أن يتول إليه حاله من السلامة فليس عنده أهم من السلامة ولا هو أشد طلباً منه لغيرها فسمى سليماً لذلك". اهـ

وقال القرطبي في المفهم (١٧ / ١٤٦):

"والسلام في الأصل بمعنى: السلامة... وعلى هذا: فيكون معنى قول المسلم: السلام عليك؛ أي: الله مطلع عليك، وناظر إليك، فكأنه يذكره باطلاع الله تعالى، وبخوفه به ليأمن منه، ويُسَلِّمُهُ من شرّه، فإذا أُدخِلَت الألف واللام على المعنى الأول كان معناه: السلامة كلها لك مني، وإذا أُدخِلَت على اسم الله تعالى: كانت تفخيماً وتعظيماً؛ أي: الله العظيم السليم من النقائص والآفات، المسلم لمن استجار به من جميع المخلوقات". اهـ

وقال المناوي في فيض القدير المناوي (٦ / ٩٣):

"لأن السلام شرع لهذه الأمة ليأمن بعضهم بعضا ويسلم بعضهم من بعض في الدم والمال والعرض ومن ثم قال الصديق: السلام أمان للعباد فيما بينهم فأولاهم بالله أوفرهم حظا من أن يأمنه الناس ويسلموا منه". اهـ

الفائدة العاشرة:

أنَّ السلام يصفو به الود ولهذا وجبت به الخيرية:
عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ: "ثَلَاثٌ يُصَفِّيَنَّ لَكَ وَدَّ أَحِيكَ: تَبَدُّؤُهُ فِي السَّلَامِ، وَتَوَسُّعُ لَهُ فِي الْمَجْلِسِ، وَتَدْعُوهُ بِأَحَبِّ الْأَسْمَاءِ إِلَيْهِ" الفوائد لأبي الشيخ الأصبهاني

الفائدة الحادية عشر:

أنَّ السلام من ينابيع الإيمان:
بل من أعظم ما يقود إلى الإيمان ولهذا ذكر البخاري رحمه الله هذا الحديث في كتاب الإيمان.

قَالَ عَمَّا رُ: "ثَلَاثٌ مَنْ جَمَعَهُنَّ فَقَدْ جَمَعَ الْإِيمَانَ: الْإِنْصَافُ مِنْ نَفْسِكَ، وَبَدَلُ السَّلَامِ لِلْعَالَمِ، وَالْإِنْفَاقُ مِنَ الْإِقْتَارِ". (١)

(١) (صحيح) رواه البخاري معلقا ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه بإسناد صحيح رجاله ثقات.

الفائدة الثانية عشر:

أَنَّ الْبَدَاءَةَ بِالسَّلَامِ سُنَّةٌ وَلِهَذَا رَغِبَ النَّبِيُّ ﷺ فِيهِ:

قال القرطبي في المفهم (١٧ / ١٤٥)

"قال أبو عمر بن عبد البر: أجمع العلماء: على أَنَّ الْإِبْتِدَاءَ بِالسَّلَامِ سُنَّةٌ وَالرَّدُّ فَرِيضَةٌ". اهـ

الفائدة الثالثة عشر:

أَنَّ السَّلَامَ فِي الْحَدِيثِ مَقْيَدٌ بِالْمُسْلِمِ:

وَأَمَّا أَهْلُ الْكِتَابِ وَسَائِرُ الْكُفَّارِ فَلَا يَتَدَوَّنُونَ بِالسَّلَامِ فَقَدْ نَهَى النَّبِيُّ ﷺ عَنْ ذَلِكَ.

لَمَّا رَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَبْدَءُوا الْيَهُودَ وَلَا النَّصَارَى بِالسَّلَامِ، فَإِذَا لَقِيتُمْ أَحَدَهُمْ فِي طَرِيقٍ، فَاضْطَرُّوهُ إِلَى أَضْيَقِهِ».

قال الحافظ ابن رجب في الفتح (١ / ٤٠):

"ويخرج من عموم ذلك: من لا يجوز بداءته بالسَّلَامِ كأهل الكتاب عند جمهور العلماء". اهـ

الفائدة الرابعة عشر:

أَنَّ السَّلامَ يَخْرُجُ مِنْهُ أَهْلُ الْبِدْعِ فَلَا يَسْلَمُ عَلَيْهِمْ:

قال النووي في الأذكار (ص: ٢٥٥):

"وأما المبتدعُ وَمَنْ اقْتَرَفَ ذَنْباً عَظِيماً وَلَمْ يَتُبْ مِنْهُ، فَيَنْبَغِي أَنْ لَا يَسْلَمَ عَلَيْهِمْ،

وَلَا يَرُدُّ عَلَيْهِمُ السَّلامَ، كَذَا قَالَ الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ مِنَ الْعُلَمَاءِ:

وَاحْتَجَّ الْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْبُخَارِيُّ فِي "صَحِيحِهِ" فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ: بِمَا رَوَيْنَاهُ

فِي "صَحِيحِي الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ" فِي قِصَّةِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ تَخَلَّفَ عَنْ

غَزْوَةِ تَبُوكَ هُوَ وَرَفِيقَانِ لَهُ، قَالَ: « وَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ كَلَامِنَا قَالَ: وَكُنْتُ

أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْلَمَ عَلَيْهِ فَأَقُولُ: هَلْ حَرَّكَ شَفْتَيْهِ بِرَدِّ السَّلامِ أَمْ لَا؟ ».

قال البخاري: وقال عبدُ الله بن عمرو: لَا تَسَلَّمُوا عَلَى شَرَبَةِ الْخَمْرِ.

قلتُ: فَإِنْ اضْطُرَّ إِلَى السَّلامِ عَلَى الظُّلْمَةِ، بَأَنْ دَخَلَ عَلَيْهِمْ وَخَافَ تَرْتَبَ

مُفْسَدَةٍ فِي دِينِهِ أَوْ دُنْيَاهُ أَوْ غَيْرِهِمَا إِنْ لَمْ يَسْلَمْ، سَلَّمَ عَلَيْهِمْ.

قال الإمام أبو بكر بن العربي: قال العلماء: يَسْلَمُ، وَيَنْوِي أَنْ السَّلامَ اسْمٌ مِنْ

أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى الْمَعْنَى: اللَّهُ عَلَيْكُمْ رَقِيبٌ. اهـ

الفائدة الخامسة عشر:

أَنَّ أَفْضَلَ السَّلامِ مَنْ بَدَأَهُمْ بِالسَّلامِ

فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَرَ الْخَيْرِيَّةَ فَيَمْنُ أَفْشَى السَّلامِ وَلَا يَكُونُ هَذَا إِلَّا فَيَمْنُ كَانَ

بَادئاً بِالسَّلامِ بِخِلَافِ الَّذِي يَرُدُّ.

روى **أبو داود** في سننه عن أبي أُمَامَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « **إِنَّ**

أَوَّلَى النَّاسِ بِاللَّهِ مَنْ بَدَأَهُمْ بِالسَّلَامِ ». (١)

قال المناوي في فيض القدير (٢/ ٤٤١):

" **إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِاللَّهِ** » أي من أخصهم برحمته وغفرانه والقرب منه في جنانه من الولي القرب « **مَنْ بَدَأَهُمْ بِالسَّلَامِ** » أي أقربهم من الله بالطاعة من بدأ أخاه المسلم بالسلام عند ملاقاته لأنه السابق إلى ذكر الله والسلام تحية المسلمين وسنة المرسلين. قال في الأذكار: وينبغي لكل أحد من المتلاقيين أن يحرص على أن يتدبأ بالسلام لهذا الحديث ". اهـ

بل روي عن عبد الله بن مسعود عن نبي الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ: « **إِذَا مَرَّ الرَّجُلُ بِالنَّاسِ فَسَلِّمْ عَلَيْهِمْ فَرَدُّوا عَلَيْهِ كَانَ عَلَيْهِمْ فَضْلٌ دَرَجَةٍ لِأَنَّهُ ذَكَرَهُمُ السَّلَامَ وَإِنْ لَمْ يَرُدُّوا عَلَيْهِ رَدَّ عَلَيْهِ مَلَأَ خَيْرٌ مِنْهُمْ وَأَطْيَبُ** ». (٢)

الفائدة السادسة عشر:

أَنَّ مِنْ إِقْرَاءِ السَّلَامِ؛ السَّلَامَ عَلَى الصَّبِيَّانِ

قال النووي في الأذكار (ص: ٢٥٥)

"وأما الصبيان فالسنة أن يسلم عليهم.

(١) (صحيح) صححه الألباني في الصحيحة (٨٨٣٠).

(٢) (صحيح) رواه البخاري في الأدب المفرد وصححه الألباني موقوفًا ومرفوعًا برقم (١٠٣٩)

روينا في "صحيح البخاري ومسلم" عن أنس رضي الله عنه «أنه مرّ على صبيانٍ فسلم عليهم وقال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعلُه» وفي رواية لمسلم عنه: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ على غلمانٍ فسلم عليهم».

وروي في سنن أبي داود وغيره بإسناد الصحيحين عن أنس «أن النبي صلى الله عليه وسلم مرّ على غلمانٍ يلعبون فسلم عليهم» ورويناهُ في كتاب ابن السني وغيره، قال فيه " فقال: السَّلامُ عَلَيْكُمْ يا صِبْيَانُ ». اهـ

الفائدة السابعة عشر:

أنّه يخرج من ذلك تسليم الرجل على المرأة والعكس إلا إذا أمنت الفتنة

قال صاحب المتقى شرح الموطأ (٢٨٠ / ٧)

"الْمُتَجَالَّةُ الْهُرْمَةُ لَا فِتْنَةَ فِي كَلَامِهَا وَلَا يَتَسَبَّبُ بِهِ إِلَى مُحْظُورٍ بِخِلَافِ الشَّابَّةِ فَإِنَّ فِي مُكَاَلَمَتِهَا فِتْنَةً وَيَتَسَبَّبُ بِهِ إِلَى الْمُحْظُورِ وَالسَّلَامُ عَلَيْهَا يَقْتَضِي رَدَّهَا وَذَلِكَ مِنْ بَابِ الْمُكَاَلَمَةِ وَأَصْلُ هَذَا أَنَّ السَّلَامَ شِعَارُ الْإِسْلَامِ شُرِعَ إِفْشَاؤُهُ عِنْدَ لِقَاءِ كُلِّ مُسْلِمٍ مِمَّنْ عَرَفْتَ وَمِمَّنْ لَمْ تَعْرِفْ إِلَّا أَنْ يُمْنَعَ مِنْهُ مَا يَخَافُ مِنَ الْفِتْنَةِ وَالتَّعْرِضِ لِلْفُسُوقِ كَمَا مُنِعَ مِنَ الرُّؤْيَةِ بِمِثْلِ ذَلِكَ وَأُمِرَ بِالْحِجَابِ ". اهـ

وقال الزرقاني في شرحه على الموطأ (٥٦٨ / ٤)

"(سُئِلَ مَا لَكَ هَلْ يُسَلِّمُ) بِالْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ، أَيِ الرَّجُلِ (عَلَى الْمَرْأَةِ) الْأَجْنَبِيَّةِ؟ (فَقَالَ: أَمَّا الْمُتَجَالَّةُ) - بِالْجِيمِ -: الْعَجُوزُ الَّتِي انْقَطَعَ أَرْبُ الرَّجَالِ مِنْهَا، (فَلَا أَكْرَهُ ذَلِكَ، وَأَمَّا الشَّابَّةُ، فَلَا أَحِبُّ ذَلِكَ) خَوْفَ الْفِتْنَةِ بِسَمَاعِ رَدِّهَا السَّلَامَ". اهـ

وجاء في **الأدب المفرد** عَنْ أَسْمَاءَ ابْنَةِ يَزِيدَ الْأَنْصَارِيَّةِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا)، مَرَّ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَأَنَا فِي جَوَارِ أَتْرَابٍ لِي، فَسَلَّمَ عَلَيْنَا وَقَالَ: «إِيَّاكُنَّ وَكُفْرُ الْمُنْعِمِينَ»، وَكُنْتُ مِنْ أَجْرَثِهِنَّ عَلَى مَسْأَلَتِهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا كُفْرُ الْمُنْعِمِينَ؟ قَالَ: «لَعَلَّ إِحْدَاكُنَّ تَطُولُ أَيْمَتُهَا مِنْ أَبَوَيْهَا، ثُمَّ يَرْزُقُهَا اللَّهُ زَوْجًا، وَيَرْزُقُهَا مِنْهُ وَلَدًا، فَتَغْضَبُ الْغَضْبَةَ فَتَكْفُرُ فَتَقُولُ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ»^(١).

• فهذا الحديث فيه أن النبي ﷺ سلم على النساء فكيف الجواب عنه؟

الجواب من وجهين:

الأول: أن النبي ﷺ أبا للناس أجمعين، ولا يُخشى عليه ولا عليهن فتنة فلهذا سلم عليهن ﷺ.

الثاني: أن هذا في حال كونهن جماعة من النساء ولا يخشى في هذه الحالة

الفتنة لأنه لم تُخصَّصْ واحدة منهن بالسلام فجاز في هذه الحالة.

أما إذا كانت امرأة لوحدها فهذا هو المحذور.

والله أعلى وأعلم.

ولهذا لم يأتِ عن الصحابة رضي الله عنهم أنهم كانوا يسلمون على النساء خشية الفتنة فيترك هذا الفعل.

وأما المرأة فلا تسلم بحالٍ سواء مرت على رجلٍ بمفرده أو على جماعة من الرجال.

الفائدة الثامنة عشر:

أنَّ هذا السلام يدخل فيه سلامك لأهل بيتك وهو أكد فإِنَّه سهم من سهام الإسلام.

فقد روى الحاكم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -: " **إِنَّ لِلْإِسْلَامِ صُورَ وَمَنَارًا كَمَنَارِ الطَّرِيقِ، مِنْهَا: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَلَا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا، وَإِقَامَةَ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ، وَصِيَامَ رَمَضَانَ، وَحُجَّ الْبَيْتِ، وَالْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَأَنْ تُسَلِّمَ عَلَى أَهْلِ بَيْتِكَ إِذَا دَخَلْتَ عَلَيْهِمْ، وَأَنْ تُسَلِّمَ عَلَى الْقَوْمِ إِذَا مَرَرْتَ بِهِمْ، فَمَنْ تَرَكَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا، فَقَدْ تَرَكَ سَهْمًا مِنَ الْإِسْلَامِ، وَمَنْ تَرَكَهُنَّ، فَقَدْ نَبَذَ الْإِسْلَامَ وَرَاءَ ظَهْرِهِ** ". (١)

قال المناوي فيض القدير المناوي (٢ / ٤٩٦)

أراد أن الإسلام طرائق وأعلاما يهتدى بها وهي واضحة الظاهر وأما معرفة حقائقه وأسراره فإنها يدركها أولو الأبواب والبصائر الذين أشرق نور اليقين على

(١) (صحيح) صححه الألباني في الصحيحة (٣٣٣).

قلوبهم فصار كالمصباح فانجلا له حقيقة الحق ولاح وأما المكب على الشهوات المحجوبة باللذات فقلبه مظلم لا يبصر - تلك الأسرار وإن كانت عند أولئك كالشمس في رابعة النهار ولهذا قال ربيع بن خثيم: إن على الحق نورا وضوء كضوء النهار نعرفه وعلى الباطل ظلمة كظلمة الليل ننكرها.

الفائدة التاسعة عشر:

أن السلام على من لم يعرف دليل الإخلاص والموانسة.

قال الصنعاني في سبل السلام (٢ / ٦٩٤):

"قَالَ النَّوَوِيُّ: فِي التَّسْلِيمِ عَلَى مَنْ لَمْ يَعْرِفْ إِخْلَاصَ الْعَمَلِ لِلَّهِ تَعَالَى وَاسْتِعْمَالَ التَّوَاضُّعِ، وَإِفْشَاءِ السَّلَامِ الَّذِي هُوَ شِعَارُ هَذِهِ الْأُمَّةِ. وَقَالَ ابْنُ بَطَّالٍ: فِي مَشْرُوعِيَةِ السَّلَامِ عَلَى غَيْرِ مَعْرُوفٍ اسْتِفْتَا حُ الْمُخَاطَبَةِ لِلتَّائِسِ لِيَكُونَ الْمُؤْمِنُونَ كُلُّهُمْ إِخْوَةً فَلَا يَسْتَوْحِشُ أَحَدٌ مِنْ أَحَدٍ". اهـ

الفائدة العشرون:

أن من علامات اندراس الإسلام ألا يسلم المرء إلا على من يعرف

في المسند من حديث ابن مسعود رضي الله عنه حين قال له رجل السلام عليك يا أبا عبد الرحمن فقال: صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ثُمَّ قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ:

«إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ إِذَا كَانَتْ التَّحِيَّةُ عَلَى الْمَعْرِفَةِ»^(١).

وفي رواية: «إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُسَلَّمَ الرَّجُلُ عَلَى الرَّجُلِ، لَا يُسَلَّمُ عَلَيْهِ إِلَّا لِلْمَعْرِفَةِ».

الفائدة الواحدة والعشرون:

أن السلام لا يكون إلا بتحريك الشفتين واللسان
قال الصنعاني في سبل السلام (٢ / ٦٩٣):

"وَلَا بُدَّ فِي السَّلَامِ أَنْ يَكُونَ بِلَفْظٍ مُسْمِعٍ لِمَنْ يَرُدُّ عَلَيْهِ. وَقَدْ أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ «إِذَا سَلَّمْتَ فَأَسْمِعْ فَإِنَّهَا تَحِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ». قَالَ النَّوَوِيُّ أَقْلَهُ أَنْ يَرْفَعَ صَوْتَهُ بِحَيْثُ يَسْمَعُ الْمُسَلَّمُ عَلَيْهِ فَإِنْ لَمْ يَسْمَعْهُ لَمْ يَكُنْ آتِيًا بِالسُّنَّةِ".

فَإِنْ شَكَّ اسْتَظْهَرَ. وَإِنْ دَخَلَ مَكَانًا فِيهِ أَيْقَاطٌ وَنِيَامٌ فَالسُّنَّةُ مَا ثَبَتَ فِي **صَحِيحِ** مُسْلِمٍ عَنِ الْمُقَدَّادِ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يَحْيِيءُ مِنَ اللَّيْلِ فَيُسَلِّمُ تَسْلِيمًا لَا يُوقِظُ نَائِمًا وَيَسْمَعُ الْيَقْظَانُ فَإِنْ لَقِيَ جَمَاعَةً يُسَلِّمُ عَلَيْهِمْ جَمِيعًا وَيَكْرَهُ أَنْ يُخْصَّ أَحَدَهُمْ بِالسَّلَامِ؛ لِأَنَّهُ يُؤَلِّدُ الْوَحْشَةَ». اهـ

الفائدة الثانية والعشرون:

أن السلام يجلب المحبة ويؤدي إلى التآخي.
قال الصنعاني في سبل السلام (٢ / ٦٩٤):

"مَشْرُوعِيَّةُ السَّلَامِ لَجَلْبِ التَّحَابِّ وَالْأَلْفَةِ فَقَدْ أَخْرَجَ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا تَحَابُّونَ بِهِ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ».. اهـ

الفائءة الثالثة والعشرون:

أنَّ الطعام يشمل حتى الكافر ممن هو ذمي أو مستأمن
عمءة القاري شرح صحيح البخاري (٣١٢ / ١):

"ومنها ما قيل إن باب أطعمت يقتضي مفعولين يقال أطعمته الطعام فما المفعول الثاني هنا ولم حذفه وأجيب بأن التقدير أن تطعم الخلق الطعام وحذف ليدل على التعميم إشارة إلى أن إطعام الطعام غير مختص بأحد سواء كان المطعم مسلما أو كافرا أو حيوانا ونفس الإطعام أيضا سواء كان فرضا أو سنة أو مستحبا" اهـ

الفائءة الرابعة والعشرون:

أنَّ السلام المقصود به قول السلام عليكم
قال العيني في عمءة القاري شرح صحيح البخاري (١٣٨ / ١):

فيه إشارة إلى أن تحية المسلمين بلفظ السَّلَام، وزيدت لفظة: القِرَاءة، تنبيهها على تخصيص هذه اللفظة في التَّحِيَّاتِ، مُحَالَفَةً لتحايا أهل الجَاهِلِيَّةِ بِالْفَافِ وَضَعُوهَا لَذَلِكَ.. اهـ

الفائدة الخامسة والعشرون:

أن قوله: "وتقرأ السلام" يشمل المكتوب
قال العيني في عمدة القاري (١ / ٣١٢):

"ومنها ما قيل لم قال: وتقرأ السلام ولم يقل وتسلم أجيب بأنه يتناول سلام
الباعث بالكتاب المتضمن بالسلام قال أبو حاتم السجستاني تقول: اقرأ عليه السلام
واقراء الكتاب ولا تقول اقرؤه السلام إلا في لغة إلا أن يكون مكتوبا فتقول أقرئه
السلام أي اجعله يقرؤه". اهـ

الفائدة السادسة والعشرون:

أن السلام ينتهي إلى (وبركاته).
قال ابن عبد البر في الاستذكار (٨ / ٤٦٥):

"عن مالك عن وهب بن كيسان عن محمد بن عمرو بن عطاء أنه قال كنت
جالسا عند عبد الله بن عباس فدخل عليه رجل من أهل اليمن فقال السلام عليكم
ورحمه الله وبركاته ثم زاد شيئا مع ذلك أيضا قال بن عباس وهو يومئذ قد ذهب
بصره من هذا قالوا هذا اليماني الذي يغشاك فعرفوه إياه قال فقال بن عباس إن
السلام انتهى إلى البركة

قال أبو عمر قول بن عباس هذا أخذه من قول الله تعالى ﴿رَحِمَ اللَّهُ وَبَرَكَتُهُ﴾

عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴿١٠﴾

رَوَى الْأَعْمَشُ عَنْ مجاهد عن بن عباس: قَالَ انْتَهَوْا فِي السَّلَامِ حَيْثُ انْتَهَتْ الْمَلَائِكَةُ يَا أَهْلَ الْبَيْتِ الصَّالِحِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ وَبَرَكَاتِهِ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ
 وروى بن جريج عن عطاء أن بن عباسٍ أَتَاهُمْ يَوْمًا فِي مَجْلِسٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ
 فَقَالَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ فَقُلْتُ وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ
 وَعَفْوُهُ وَمَغْفِرَتُهُ فَقَالَ مَنْ هَذَا فَقُلْتُ عَطَاءٌ فَقَالَ انْتَهَى السَّلَامُ وَبَرَكَاتِهِ ثُمَّ تَلَا
 ﴿رَحِمَ اللَّهُ وَبَرَكَاتِهِ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾ هُودٌ ٧٣. اهـ

وفي شرح الزرقاني على الموطأ (٤ / ٥٦٨)

"(مَالِكٌ عَنْ وَهْبِ بْنِ كَيْسَانَ) الْقُرَشِيُّ مَوْلَاهُمُ الْمَدَنِيُّ، (عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو
 بْنِ عَطَاءٍ) الْقُرَشِيُّ الْقَبَارِيُّ الْمَدَنِيُّ مِنْ ثِقَاتِ التَّابِعِينَ، وَوَهُمُ مَنْ قَالَ: تَكَلَّمَ فِيهِ
 الْقَطَّانُ، (أَنَّهُ قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ
 الْيَمَنِ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، ثُمَّ زَادَ مَعَ ذَلِكَ شَيْئًا، لَمْ يُبَيِّنْهُ،
 (قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ - وَهُوَ يَوْمَئِذٍ قَدْ ذَهَبَ بَصَرُهُ -: مَنْ هَذَا؟) الَّذِي زَادَ عَلَى التَّحِيَّةِ
 الشَّرْعِيَّةِ، (قَالُوا: هَذَا الْيَمَانِيُّ الَّذِي يَغْشَاكَ، فَعَرَفُوهُ إِيَّاهُ قَالَ) مُحَمَّدٌ: (فَقَالَ ابْنُ
 عَبَّاسٍ: إِنَّ السَّلَامَ انْتَهَى إِلَى الْبَرَكَةِ)، أَيُّ قَوْلُهُ: وَبَرَكَاتُهُ فَلَا تَزِدْ عَلَيْهِ شَيْئًا ابْتِدَاعًا".

اهـ

الفائدة السابعة والعشرون:

يقرأ السلام ولو دخل بيتا غير مسكون

قال القرافي في الذخيرة (١٣ / ٢٩٢):

"قَالَ الْبَاجِي إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَنْ يُسَلِّمُ عَلَيْهِ فَلْيُسَلِّمْ عَلَى نَفْسِهِ وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ كَمَا يَفْعَلُهُ فِي التَّشْهَدِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾" قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ مَعْنَاهُ إِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَقُولُوا السَّلَامَ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ".

اهـ

الفائدة الثامنة والعشرون:

أَنَّ جَوَابَ النَّبِيِّ ﷺ يَخْتَلِفُ بِحَسَبِ حَاجَةِ النَّاسِ

ففي هذا الحديث أجاب من سألَه عن خير الإسلام فقال: «تطعم الطعام وتقرأ السلام»، وفي حديث آخر سُئِلَ عن أفضل الإسلام فقال: «من سلم المسلمون من لسانه ويده».

دل هذا على أَنَّ جَوَابَ النَّبِيِّ ﷺ على سؤال الناس يختلف بحسب ما يحتاجون إليه وهذا دليل على شففته ورحمته بأمتة ﷺ.

قال ابن بطال شرح صحيح البخاري (١/ ٦٣):

"دل اتفاق السؤال واختلاف الجواب أن ذلك كله منه ﷺ، في أوقات مختلفة، لقوم شتى، فجواب كل إنسان بما به الحاجة إلى علمه" اهـ

الفائدة التاسعة والعشرون:

أَنَّ الإطعام يدخل فيه القليل والكثير، ولا يشترط فيه الإشباع
ولو أطعم العبد أخاه تمرّة كان مُطعمًا له ولهذا يقول الله سبحانه: ﴿وَيُطْعَمُونَ
الطَّعَامَ عَلَىٰ حِدَةٍ مُّسْكِينًا وَنِيَمًا وَآسِيرًا﴾ [سورة الإنسان: ٨].
ومعلوم حال الصحابة وضيق معاشهم، ومع ذلك فقد كانوا يطعمون
الطعام للناس بقدر طاقتهم وبحسب ما يجدون ويتيسر لهم، ومما يدل على ذلك ما
ثبت في صحيح مسلم عن عائشة (رضي الله عنها)، أَنَّهَا قَالَتْ: «جَاءَتْنِي مُسْكِينَةٌ تَحْمِلُ ابْنَتَيْنِ
لَهَا، فَأَطْعَمْتُهَا ثَلَاثَ تَمَرَاتٍ، فَأَعْطَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا تَمْرَةً، وَرَفَعَتْ إِلَىٰ فِيهَا تَمْرَةً
لِتَأْكُلَهَا، فَاسْتَطْعَمْتُهَا ابْنَتَاهَا، فَشَقَّتِ التَّمْرَةَ، الَّتِي كَانَتْ تُرِيدُ أَنْ تَأْكُلَهَا بَيْنَهُمَا،
فَأَعْجَبَنِي شَأْنُهَا، فَذَكَرْتُ الَّذِي صَنَعْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَوْجَبَ
لَهَا بِهَا الْجَنَّةَ، أَوْ أَعْتَقَهَا بِهَا مِنَ النَّارِ».

والشاهد «فَأَطْعَمْتُهَا ثَلَاثَةَ تَمَرَاتٍ».

فالحمد لله الذي يَسِّرَ على عباده ولم يشترط عليهم الإشباع.

الفائدة الثلاثون:

أَنَّ سَقَى الْمَاءِ يدخل في إطعام الطعام
قال الله عز وجل: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ
فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا

مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْكُوا اللَّهَ كَمِ مِّنْ فَتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ [سورة البقرة: ٢٤٩].

وجاء في سنن ابن ماجه عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «لَقَدْ كَانَ يَأْتِي عَلَى آلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الشَّهْرُ مَا يُرَى فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِهِ الدُّخَانُ».

قُلْتُ: فَمَا كَانَ طَعَامُهُمْ؟ قَالَتْ: الْأَسْوَدَانِ: التَّمْرُ، وَالْهَاءُ. (١)

وفي حديث أبي ذر عند مسلم أَنَّهُ قَالَ قُلْتُ: «قَدْ كُنْتُ هَاهُنَا مُنْذُ ثَلَاثِينَ بَيْنَ لَيْلَةٍ وَيَوْمٍ، قَالَ: «فَمَنْ كَانَ يُطْعِمُكَ؟» قَالَ قُلْتُ: مَا كَانَ لِي طَعَامٌ إِلَّا مَاءٌ زَمْزَمَ فَسَمِنْتُ حَتَّى تَكَسَّرَتْ عُنْكَ بَطْنِي، وَمَا أَجِدُ عَلَى كَبِدِي سُخْفَةً جُوعٍ، قَالَ: «إِنَّهَا مُبَارَكَةٌ، إِنَّهَا طَعَامٌ طُعِمَ»

قال العيني في عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١/ ٣١٢)

"فإن قيل لم قال: «تطعم الطعام». ولم يقل تَوَكَّلْ ونحوه من الألفاظ الدالة عليه وأجيب: بأن لفظة الإطعام عام يتناول الأكل والشرب والذوق قال الشاعر: وإن شئت حرمت النساء سواكم وإن شئت لم أطعم نقاخا ولا بردا فإنه عطف البرد الذي هو النوم على النقاخ بضم النون وبالقاف والحاء المعجمة الذي هو الماء العذب وقال تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَطْعَمْهُ﴾ أي: ومن لم يذقه، من طعم

الشيء إذا ذاقه، وبعمومه يتناول الضيافة وسائر الولائم وإطعام الفقراء وغيرهم.

اهـ

الفائدة الواحدة والثلاثون:

أن الإطعام يشمل النفقة على أهله إذا احتسب ذلك.

قال ابن بطال في شرح صحيح البخاري (١/٨٤):

"وهذا عام في نفقة الرجل على أهله، وفي كل نفقة هي طاعة لله تعالى، ودل ذلك أن نفقة المعسر على أهله أعظم أجراً من نفقة الموسر، وهذا كله من كمال الإيمان". اهـ

الفائدة الثانية والثلاثون:

أن إطعام الطعام من أعمال البر التي تقود إلى الجنة

روى الترمذي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: »

أَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا الْأَرْحَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ

« (١).

وانظر إلى هذا الحديث العظيم القدر الذي رواه أحمد عن البراء بن عازبٍ

رضي الله عنه قال: جاء أعرابيٌّ إلى النبي ﷺ فقال: «يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَّمَنِي عَمَلًا يُدْخِلُنِي

الْجَنَّةَ فَقَالَ: «لَئِنْ كُنْتَ أَقْصَرْتَ الْخُطْبَةَ لَقَدْ أَعْرَضْتَ الْمَسْأَلَةَ أَعْتَقَ النَّسَمَةَ وَفُكَّ

الرَّقَبَةُ» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوَلَيْسَتْ بِوَاحِدَةٍ. قَالَ: «لَا إِنَّ عِتْقَ النَّسَمَةِ أَنْ تَفَرَّدَ بِعِتْقِهَا وَفَكَ الرَّقَبَةُ أَنْ تُعِينَ فِي عِتْقِهَا وَالْمِنْحَةُ الْوَكُوفُ وَالْفَيْءُ عَلَى ذِي الرَّحِمِ الظَّالِمِ فَإِنْ لَمْ تُطِطْ ذَلِكَ فَأَطْعِمِ الْجَائِعَ وَاسْقِ الظَّمْآنَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ فَإِنْ لَمْ تُطِطْ ذَلِكَ فَكُفَّ لِسَانَكَ إِلَّا مِنَ الْخَيْرِ».

والشاهد من هذا الحديث: «فَإِنْ لَمْ تُطِطْ ذَلِكَ فَأَطْعِمِ الْجَائِعَ وَاسْقِ الظَّمْآنَ».

فمن أطعم الطعام، وبالذات في أيام حاجة الناس وشدتهم؛ فقد وفق لا فتحام

العقبة الكؤود، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَلَا أَقْنَمِ الْعَقَبَةَ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ۝﴾

فَكَ رَقَبَةً ۝ أَوْ إِطْعَمْ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ۝ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۝ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ۝﴾

[سورة البلد: ١١-١٦].

وفي أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٨ / ٥٣٣):

«قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَوْ إِطْعَمْ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾. أَي: شِدَّةٍ وَجُوعٍ. وَالسَّاعِبُ:

الْجَائِعُ؛ قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: وَأَنْشَدَ أَبُو عُبَيْدَةَ:

فَلَوْ كُنْتُ جَارًا يَا بَنَ قَيْسٍ لِعَاصِمٍ لَمَا بَتَّ شَبْعَانًا وَجَارَكَ سَاغِبًا

أَي: لَوْ كُنْتُ جَارًا بِحَقِّ تَعْنِي بِحَقِّ الْجَارِ، لَمَا حَدَّثَ لِحَارِكَ هَذَا. وَهَذَا الْقَيْدُ

لِحَالِ الْإِطْعَامِ؛ دَلِيلٌ عَلَى قُوَّةِ الْإِيمَانِ بِالْجُزْءِ، وَتَقْدِيمِ مَا عِنْدَ اللَّهِ؛ عَلَى مَا فِي قَوْلِهِ

تَعَالَى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾، عَلَى مَا تَقَدَّمَ مِنْ أَنَّ

الضَّمِيرَ فِي حُبِّهِ أَنَّهُ لِلطَّعَامِ، وَهَذَا غَالِبٌ فِي حَالَاتِ الشَّدَّةِ وَالْمُسْغَبَةِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾، فَهِيَ أَعْلَىٰ مَنَازِلِ
الْفَضِيلَةِ فِي الْإِطْعَامِ". اهـ

الفائدة الثالثة والثلاثون:

أَنَّ هَذِهِ الْأَعْمَالُ لَا تَغْنِي عَنْ صَاحِبِهَا شَيْئًا إِنْ لَمْ يَأْتِ بِأَرْكَانِ الْإِسْلَامِ
وَالْإِيمَانِ

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ رَجَبٍ فِي فَتْحِ الْبَارِي (١ / ٣٩):

"وإنما كان هذا خير الإسلام بعد الإتيان بفرائض الإسلام وواجباته، فمن
أتى بفرائض الإسلام ثم ارتقى إلى درجة الإحسان إلى الناس كان خيرا ممن لم يرتق
إلى هذه الدرجة وأفضل - أيضا -، وليس المراد أن من اقتصر على هذه الدرجة فهو
خير من غيره مطلقا ولا أن إطعام الطعام ولين الكلام خير من أركان الإسلام
ومبانيه الخمس، فإن إطعام الطعام والسلام لا يكونان من الإسلام إلا بالنسبة إلى
من آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر". اهـ

الفائدة الرابعة والثلاثون:

أن هذه الأعمال لا تنفع صاحبها إلا مع الإخلاص

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ (٨) إِنَّمَا

نُطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾ (٩) [سورة الإنسان: ٨-٩].

قال العلامة السعدي في تفسيره (ص: ٩٠١):

"﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ﴾ أي: وهم في حال يحبون فيها المال والطعام،

لكنهم قدموا محبة الله على محبة نفوسهم، ويتحرون في إطعامهم أولى الناس

وأحوجهم ﴿مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾

ويقصدون بإنفاقهم وإطعامهم وجه الله تعالى، ويقولون بلسان الحال: ﴿إِنَّمَا

نُطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾ أي: لا جزاء ماليا ولا ثناء قوليا

". اهـ

فمن لم يكن في إنفاقه مخلصاً لله، وبيتغي الأجر من الله لم ينفعه إطعامه، ولا

صداقته.

وقد جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم

يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ... وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ

أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأَتَىٰ بِهِ فَعَرَفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ

مِنْ سَبِيلِ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ:
هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أَمْرٌ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ»

وانظر إلى حاتم الطائي وما كان ينفقه في إطعام الطعام ومع ذلك لم ينفعه،
فعن سهل بن سعد الساعدي أن عدي بن حاتم أتى رسول الله ﷺ فقال: «يا
رسول الله إن أبي كان يصل القرابة ويحمل الكلّ ويطعم الطعام، قال: «إِنْ أَبَاكَ
كَانَ يُحِبُّ أَنْ يُذَكَرَ». (١)

وفي رواية عند أحمد عن عدي بن حاتم قال: قلت: «يا رسول الله إن أبي كان
يصل الرحم، وكان يفعل ويفعل، قال: «إِنْ أَبَاكَ أَرَادَ أَمْرًا فَأَدْرَكَهُ» يعني: الذِّكْر.
فالأعمال لا تنفع صاحبها ما لم يكن مخلصًا فيها لربه سبحانه وتعالى.

الفائدة الخامسة والثلاثون:

تقديم الفعل على القول في العطاء

وقد قدّمه الله في قوله سبحانه: ﴿وَإِذَا خَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا
اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا
وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ

[سورة البقرة: ٨٣]. ﴿٨٣﴾

(١) (حسن) رواه الطبراني في "الكبير" وفيه رشدين بن سعد، وهو ضعيف، ويشهد له ما بعده.

وذلك لأن الناس يفرحون بما يجدون من العطاء الفعلي سواء بالمال أو الطعام، أكثر من فرحهم بالعطاء القولي، وهو القول الحسن.

عَلَى أَنَّ اللَّهَ أَمَرَ بِالْإِحْسَانِ الْفِعْلِيِّ حَيْثُ يَتَعَيَّنُ وَيَدْخُلُ تَحْتَ قُدْرَةِ الْمَأْمُورِ وَذَلِكَ الْإِحْسَانُ لِلْوَالِدَيْنِ وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَأَمَرَ بِالْإِحْسَانِ الْقَوْلِيِّ إِذَا تَعَذَّرَ الْفِعْلِيُّ عَلَى حَدِّ قَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ:

لَا خَيْلَ عِنْدَكَ تُهْدِيهَا وَلَا مَالٌ فَلْيُسْعِدِ النُّطْقُ إِنْ لَمْ تُسْعِدِ الْحَالُ

ومن ذلك قوله سبحانه: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ

فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [سورة النساء: ٥].

وأما عند تحذيره ﷺ من الأذية قَدَّمَ اللسان على اليد فقال ﷺ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»^(١)، وذلك لأن أذى اللسان أعم من أذى اليد، واللسان يمكنه القول في الماضي والموجودين والحادثين بخلاف اليد فإنها تختص بالموجود.

الفائدة السادسة والثلاثون:

أن إطعام الطعام من صفات أهل الجنة والعكس

قال الله سبحانه وهو يصف المتقين: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ﴾

(١) متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

وقال في صفة أهل النار: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمَسْكِينِ﴾، وعاب من أراد أن يحرم طعامه أهل الحاجة إليه، فذكر أهل الجنة: ﴿إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾ إلى ﴿كَالْصَّرِيمِ﴾، يعنى المقطوع، فأذهب تعالى ثمارهم، وحرّمهم إياها حين أمّلوا الاستئثار بها دون المساكين.

الفائدة السابعة والثلاثون:

أَنَّ أعظم آلة للعطاء هما اليد واللسان ولهذا يُذكران كثيراً في كتاب ربنا وفي سنة نبينا ﷺ، سواء في عطايا الخير، أو في أذية الناس، وانظر كيف قدمهما ربنا في السؤال يوم القيامة، وذلك لأنها أعظم آلتين للكسب والعمل، قال الله سبحانه: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [سورة يس: ٦٥].

وقال سبحانه: ﴿يَوْمَ نَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة النور: ٢٤].

فمن أراد الخير والفوز برضوان الله سبحانه وتعالى؛ فعليه أن يبذل فيها كل خير، وأن يمسكها عن كل شر.

الفائدة الثامنة والثلاثون:

حرص الصحابة على أن يكونوا خير الناس

فقد كانوا يسعون في نيل المراتب العالية عند ربهم سبحانه وتعالى، فيصدق

عليهم قول ربنا سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ (٥٧) وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (٥٨) وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ (٥٩) وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً تَوْأَمًا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (٦٠) أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ (٦١) [سورة المؤمنون: ٥٧-٦١].

كيف لا والله سبحانه وتعالى يقول عنهم: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنْ الْقَوْمِ الْمُكَرَّمِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (١٠٠) وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٠٠) [سورة التوبة: ١٠٠].

وانظر إلى كثرة الأحاديث التي يسألون فيها عن أفضل الناس خير الناس، أفضل الأعمال، أحب الأعمال عند الله، وهكذا غيرها.

وتجد هذا حاصلًا في أقوالهم وأفعالهم، لا أنها مجرد أقوال فقط، وانظر لما ثبت في صحيح مسلم، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ صَائِمًا؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، قَالَ: «فَمَنْ تَبَعَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، قَالَ: «فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، قَالَ: «فَمَنْ

عَادَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مَرِيضًا» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ».

وانظر لهذا الحديث العجيب ليتضح لك أكثر خيرية أولئك القوم رجالا ونساءً، وكيف كانوا يتنافسون على الآخرة والدرجات العالية فيه.

جاء في الصحيحين من حديث أبي موسى، قَالَ: بَلَّغْنَا مَخْرَجَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَنَحْنُ بِالْيَمَنِ، فَخَرَجْنَا مُهَاجِرِينَ إِلَيْهِ، أَنَا وَأَخَوَانِي، أَنَا أَصْغَرُهُمَا، أَحَدُهُمَا أَبُو بُرْدَةَ وَالْآخَرُ أَبُو رُحْمٍ - إِمَّا قَالَ بَضْعًا وَإِمَّا قَالَ: ثَلَاثَةً وَخَمْسِينَ أَوْ اثْنَيْنِ وَخَمْسِينَ رَجُلًا مِنْ قَوْمِي - قَالَ فَرَكِبْنَا سَفِينَةً، فَأَلْقَيْنَا سَفِينَتَنَا إِلَى النَّجَاشِيِّ بِالْحَبَشَةِ، فَوَافَقَنَا جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَأَصْحَابُهُ عِنْدَهُ، فَقَالَ جَعْفَرٌ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَنَا هَاهُنَا، وَأَمَرَنَا بِالْإِقَامَةِ فَأَقِيمُوا مَعَنَا، فَأَقَمْنَا مَعَهُ حَتَّى قَدِمْنَا جَمِيعًا، قَالَ: فَوَافَقَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ افْتَتَحَ خَيْبَرَ، فَأَسْهَمَ لَنَا، أَوْ قَالَ أَعْطَانَا مِنْهَا، وَمَا قَسَمَ لِأَحَدٍ غَابَ عَنِ فَتْحِ خَيْبَرَ مِنْهَا شَيْئًا، إِلَّا لِمَنْ شَهِدَ مَعَهُ، إِلَّا لِأَصْحَابِ سَفِينَتِنَا مَعَ جَعْفَرٍ وَأَصْحَابِهِ، قَسَمَ لَهُمْ مَعَهُمْ، قَالَ فَكَانَ نَاسٌ مِنَ النَّاسِ يَقُولُونَ لَنَا - يَعْنِي لِأَهْلِ السَّفِينَةِ - نَحْنُ سَبَقْنَاكُمْ بِالْهَجْرَةِ.

قَالَ فَدَخَلَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ، وَهِيَ مِمَّنْ قَدِمَ مَعَنَا، عَلَى حَفْصَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ زَائِرَةً، وَقَدْ كَانَتْ هَاجَرَتْ إِلَى النَّجَاشِيِّ فِيمَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِ، فَدَخَلَ عُمَرُ عَلَى حَفْصَةَ، وَأَسْمَاءُ عِنْدَهَا، فَقَالَ عُمَرُ حِينَ رَأَى أَسْمَاءَ: مَنْ هَذِهِ؟ قَالَتْ: أَسْمَاءُ بِنْتُ

عُمَيْسٍ، قَالَ عُمَرُ: الْحَبَشِيَّةُ هَذِهِ؟ الْبَحْرِيَّةُ هَذِهِ؟ فَقَالَتْ أَسْمَاءُ: نَعَمْ، فَقَالَ عُمَرُ: سَبَقْنَاكُمْ بِالْهَجْرَةِ، فَنَحْنُ أَحَقُّ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْكُمْ، فَغَضِبَتْ، وَقَالَتْ كَلِمَةً: كَذَبْتَ يَا عُمَرُ كَلًّا، وَاللَّهِ كُنْتُمْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُطْعَمُ جَائِعُكُمْ، وَيَعْطَى جَاهِلُكُمْ، وَكُنَّا فِي دَارٍ، أَوْ فِي أَرْضِ الْبُعْدَاءِ الْبُغَضَاءِ فِي الْحَبَشَةِ، وَذَلِكَ فِي اللَّهِ وَفِي رَسُولِهِ، وَإِنَّمَا اللَّهُ لَا أَطْعَمُ طَعَامًا وَلَا أَشْرَبُ شَرَابًا حَتَّى أَذْكَرَ مَا قُلْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَنَحْنُ كُنَّا نُؤْذِي وَنُخَافُ، وَسَأَذْكَرُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَسْأَلُهُ، وَوَاللَّهِ لَا أَكْذِبُ وَلَا أَزِيغُ وَلَا أَزِيدُ عَلَى ذَلِكَ، قَالَ: فَلَمَّا جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ قَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنَّ عُمَرَ قَالَ: كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسَ بِأَحَقَّ بِي مِنْكُمْ، وَلَهُ وَلِأَصْحَابِهِ هَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ، وَلَكُمْ أَنْتُمْ، أَهْلُ السَّفِينَةِ، هَجْرَتَانِ» قَالَتْ: فَلَقَدْ رَأَيْتُ أَبَا مُوسَى وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ يَأْتُونِي أَرْسَالًا، يَسْأَلُونِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ، مَا مِنَ الدُّنْيَا شَيْءٌ هُمْ بِهِ أَفْرَحُ وَلَا أَعْظَمُ فِي أَنْفُسِهِمْ مِمَّا قَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

لِلَّهِ دَرَاهِمُ مِنْ فَتِيَةٍ صُبُرٍ مَا إِنْ رَأَيْتُ هُمْ فِي النَّاسِ أَمْثَالًا
فَلِلَّهِ دَرَاهِمُ، وَعَلَى اللَّهِ أَجْرُهُمْ وَنَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُلْحِقَنَا بِهِمْ، وَأَنْ يَجْمَعَنَا بِهِمْ فِي
جَمَاتِ النِّعَمِ.

أُولَئِكَ آبَائِي فَجِنِّي بِمِثْلِهِمْ إِذَا جَمَعْتَنَا يَا جَرِيرُ الْجَامِعُ

الفائدة التاسعة والثلاثون:

أَنَّ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَنْ يَكْمَلُ إِيمَانَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يَكْمَلُ
فَالْمُؤْمِنُونَ يَتَفَاوَتُونَ فِي إِيمَانِهِمْ تَفَاوُتًا عَظِيمًا، وَلَمْ يَكْمَلْ إِيمَانُ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِلَّا
إِيمَانُ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. وَأَكْمَلَهُمْ إِيْمَانًا نَبِيْنَا مُحَمَّدٌ ﷺ. وَهَذَا التَّفَاوُتُ
الْحَاصِلُ يَكُونُ بِحَسَبِ مَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ قُوَّةِ الْيَقِينِ بِاللَّهِ وَالتَّصَدِيقِ بِهِ وَحُبِّهِ وَرَجَائِهِ
وَخَشْيَتِهِ وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ وَالتَّسْلِيمِ لِحُكْمِهِ وَالرِّضَا بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ وَنَحْوِ ذَلِكَ،
وَبِحَسَبِ قِيَامِهِمْ بِمَا أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَابْتِعَادِهِمْ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ
عَلَيْهِمْ مِنَ الْأَعْمَالِ الطَّالِحَةِ.

وَلَا شَكَّ وَلَا رَيْبَ أَنَّ هُنَاكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مَنْ كَمَلَ إِيمَانُهُ، كَيْفَ لَا وَقَدْ سُئِلَ
النَّبِيُّ ﷺ: أَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَكْمَلُ إِيمَانًا قَالَ: « رَجُلٌ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ
وَرَجُلٌ يَعْبُدُ اللَّهَ فِي شِعْبٍ مِنَ الشُّعَابِ قَدْ كُفِيَ النَّاسُ شَرُّهُ » (١).

وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّهُ مِمَّا عَمِلَ الْعَبْدَ فَإِنَّهُ لَا يَبْلُغُ مَرْتَبَةَ الْأَنْبِيَاءِ فِي كَمَالِ الْإِيمَانِ، لِمَا
حَبَا اللَّهُ هَؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءَ مِنْ فَضْلِهِ وَمَنْتِهِ وَكَرَمِهِ وَفَضْلِهِ.

وَمَعَ ذَلِكَ فَهَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنُونَ هُمُ الْمَرْتَبَةُ الَّتِي تَلِي دَرَجَةَ النَّبِيِّينَ، وَهِيَ دَرَجَةُ
الصَّدِيقِينَ، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ
عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ [سورة
النساء: ٦٩].

قال ابن القيم في مفتاح دار السعادة (١ / ٨٠):

"وَالْمُقْصُودُ أَنَّهُ ذَكَرَ فِيهَا الْمُرَاتِبَ الْأَرْبَعَةَ الرَّسَالَةَ وَالصَّدِيقِيَّةَ وَالشَّهَادَةَ وَالْوَلَايَةَ فَأَعْلَاهَا هَذِهِ الْمُرَاتِبُ النَّبَوَّةُ وَالرَّسَالَةُ وَيَلِيهَا الصَّدِيقِيَّةُ، فَالصَّدِيقُونَ هُمْ أَئِمَّةُ أَتْبَاعِ الرَّسُولِ وَدَرَجَتُهُمْ أَعْلَى الدَّرَجَاتِ بَعْدَ النَّبَوَّةِ فَإِنْ جَرَى قَلَمُ الْعَالَمِ بِالصَّدِيقِيَّةِ وَسَالَ مَدَادُهُ بِهَا؛ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ دَمِ الشَّهِيدِ الَّذِي لَمْ يَحْلِقْهُ فِي رُتْبَةِ الصَّدِيقِيَّةِ وَإِنْ سَالَ دَمُ الشَّهِيدِ بِالصَّدِيقِيَّةِ وَقَطَرَ عَلَيْهَا كَانَ أَفْضَلَ مِنْ مَدَادِ الْعَالَمِ الَّذِي قَصَرَ عَنْهَا فَافْضَلُهُمَا صَدِيقُهُمَا فَإِنْ اسْتَوَيَا فِي الصَّدِيقِيَّةِ اسْتَوَيَا فِي الْمُرْتَبَةِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَالصَّدِيقِيَّةُ هِيَ كِمَالُ الْإِيمَانِ بِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ عِلْمًا وَتَصَدِيقًا وَقِيَامًا فَهِيَ رَاجِعَةٌ إِلَى نَفْسِ الْعِلْمِ فَكُلُّ مَنْ كَانَ أَعْلَمَ بِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ وَاكْمَلَ تَصَدِيقًا لَهُ كَانَ أَتَمَّ صَدِيقِيَّةً فَالصَّدِيقِيَّةُ شَجَرَةٌ أَصُولُهَا الْعِلْمُ وَفُرُوعُهَا التَّصَدِيقُ وَثَمَرَتُهَا الْعَمَلُ". اهـ

وقال **رحمته الله**: "أبو بكر سيد الصديقين، وعمر وعثمان بعده مباشرة؛ فهما أعلم الناس بما جاء به الرسول - **صلوات الله وسلامه عليه** - وأشدّهما تصديقاً له وعملاً به؛ لأن الصديقية هي كمال الإيمان بما جاء به الرسول عِلْمًا وَتَصَدِيقًا وَقِيَامًا بِهِ، فكل من كان أعلم بما جاء به الرسول، وأكمل تصديقاً له كان أتم صديقية"، وقد نالها من هم دون عمر وعثمان؛ لحديث عمرو بن مرة الجهني **رضي الله عنه** قال: «جاء رجل إلى النبي - **صلوات الله وسلامه عليه** -؛ فقال: يا رسول الله، أ رأيت إن شهدت أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، وصليت الصلوات الخمس، وأديت الزكاة، وصُمت رمضان وقُممت، فممن أنا،

قال: «من الصَّديقين والشُّهداء». رواه البزار وابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما، وصححه الألباني. " اهـ
فنسأل الله أن يجعلنا منهم.

الفائدة الأربعون:

أنَّ الإسلام فيه خير وفيه خير
وهذا واضح ومصدقه كثير في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ومن ذلك قول
الله عز وجل: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ
أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيَّكَ أَعْظَمَ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَتَلُوا وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ
الْحَسَنَى وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ ﴿١٠﴾﴾ [سورة الحديد: ١٠].
وقول النبي ﷺ: «المؤمنُ القويُّ، خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيفِ،
وفي كُلِّ خيرٍ». رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه
فمحبته الله عز وجل لعبده على قدر الخيرية التي فيه.

قال النووي رحمته الله في شرح مسلم (١٦ / ٢١٥):

"والمراد بالقوة هنا عزيمة النفس والقريحة في أمور الآخرة فيكون صاحب هذا الوصف أكثر إقداما على العدو في الجهاد وأسرع خروجاً إليه وذهاباً في طلبه وأشد عزيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الأذى في كل ذلك واحتمال

المشاق في ذات الله تعالى وأرغب في الصلاة والصوم والأذكار وسائر العبادات وأنشط طلبا لها ومحافظة عليها ونحو ذلك". اهـ

الفائدة الواحدة والأربعون:

فضيلة السؤال عما ينفع

فإن السؤال عما ينفع يدل على الحرص على الهداية وسلوك سبيل السلامة، ومن عَلِمَ الله صدقَه في سؤاله لطلب النجاة والرفعة نجَّاه الله ورفعَه.

جاء في صحيح مسلم عَنْ أَبِي أَيُّوبَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فَقَالَ: دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ أَعْمَلُهُ يُدْنِيَنِي مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ، قَالَ: «تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتَقِيْمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ ذَا رَحِمِكَ». فَلَمَّا أَدْبَرَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): «إِنْ تَمَسَكَ بِمَا أَمَرَ بِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ»

الفائدة الثانية والأربعون:

سماحة هذا الدين وعِظم ما يدعو إليه

فإن هذه الأحاديث يتبين بها مدى عظمة هذا الدين، إذ يدعو الناس إلى رحمة بعضهم بعضًا، وإعانة بعضهم بعضًا، وهذا من عظمة ديننا الإسلامي الذي يدعو إلى تكاتف المسلمين وتكميل بعضهم بعضًا، حتى شبههم النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بالجسد الواحد الذي يؤثر عليه ما يؤثر على أصغر عضو، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ

فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى». رواه مسلم عن النعمان بن بشير رضي الله عنه.

وعند الطبراني عن ابن عمر أن رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ وَأَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى سُورُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلَأنَّ أُمِّيَّيَ مَعَ أَخٍ فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ يَعْنِي مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ شَهْرًا، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَرَّ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمَضِّيه أَمْضَاهُ مَلَأَ اللَّهُ قَلْبَهُ رَجَاءَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى يَتَهَيَّأَ لَهُ أَثْبَتَ اللَّهُ قَدَمَهُ يَوْمَ تَزُولُ الْأَقْدَامُ». (١)

فانظر إلى هذا الحديث العظيم تعرف عظمة هذا الدين، فأحب الناس إلى الله من كثر نفعه للناس، وسعى في حوائجهم، وغالب هذه - إن لم يكن كلها - من أعمال اليد واللسان، فهنيئاً لمن وفقه الله لهذه الأمور. وقد أسلم كثير من الناس حين رأوا سباحة هذا الدين وما يأمر به.

الفائدة الثالثة والأربعون:

أَنَّ الضعف إن حصل فمن المسلمين لا من الإسلام
فالإسلام دعا لكل خير ولكل معروف، وإن حصل ضعف أو بُعد عن هذه
الأخلاق الطيبة الرفيعة فالخلل حاصل من المسلمين لا من الإسلام

الفائدة الرابعة والأربعون:

محبة الله لمن اتصف بهذه الخصال
فهذه الصفات تدخل فيها أنواع من الإحسان التي يحبها الله سبحانه وتعالى، والله
يحب المحسنين، قال الله سبحانه: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا
إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة البقرة: ١٩٥].

وقال سبحانه: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ
النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة آل عمران: ١٣٤].

الفائدة الخامسة والأربعون:

أَنَّ الجمع بين الخصلتين جمع بين العبادات المالية والبدنية
فالإسلام من الأعمال البدنية وهو داخل في قول الله سبحانه: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ
حُسْنًا﴾ [سورة البقرة: ٨٣].

وقد قال الله سبحانه: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِنَحْوَةِ فُجْؤٍ أَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ [سورة النساء: ٨٦].

فهي عبادة نتعبد لله سبحانه وتعالى بها، ولها أجر عظيم، وقد ثبت في سنن أبي داود عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ، ثُمَّ جَلَسَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «عَشْرٌ» ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، فَرَدَّ عَلَيْهِ، فَجَلَسَ، فَقَالَ: «عِشْرُونَ» ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، فَرَدَّ عَلَيْهِ، فَجَلَسَ، فَقَالَ: «ثَلَاثُونَ» (١).

وهكذا إطعام الطعام فهو من العبادات التي جمعت بين العبادة البدنية والمالية، فالمسلم يبذل عند شراءه مالاً، ويبذل في عمله وتسويته وإعطائه للمسكين عملاً بدنياً.

قال العيني في عمدة القاري (١ / ٣١٢):

"قليل لم خص هاتين الخصلتين في هذا الحديث؟

وأجيب بأن المكارم لها نوعان: أحدهما مالية أشار إليها بقوله: «تطعم

الطعام»، والآخر بدنية أشار إليها بقوله: «وتقرأ السلام»". اهـ

الفائدة السادسة والأربعون:

أَنْ مَنْ تَرَكَ هَذِهِ الْخِصَالَ ابْتَعَدَ عَنِ الْخَيْرِيَّةِ بِقَدْرِ بَعْدِهِ
وانظر كيف ذمَّ الله من بخل بماله عن إطعام المساكين، فقال الله سبحانه:

﴿كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ

الْثَّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾﴾ [سورة الفجر: ١٧-٢٠].

﴿وَلَا تَحَاضُّونَ﴾ أي: لا يحض بعضهم بعضًا، ولا يحث من أهل وغيره شكرًا

لإنعام الله تعالى ﴿عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾؛ أي: على إطعام جنس المسكين، وإصلاح

شأنه، ومن لا يحض غيره على إطعامه فأن لا يطعمه بنفسه أولى، فيؤول المعنى إلى

أن يقال: ولا تطعمون مسكينًا ولا تأمرون بإطعامه، وفيه ذم بليغ للبخل.

والخلاصة: وإذا لم تكرموا اليتيم، ولم يوص بعضهم بعضًا بإطعام المسكين،

فقد كذبت مزاعمكم في أنكم قوم صالحون، وإنما ذكر التحاض على الطعام، ولم

يكتف بالإطعام، فيقول: ولم تطعموا المسكين، ليبين أن أفراد الأمة متكافلون، وأنه

يجب أن يوصي بعضهم بعضًا بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، مع التزام كل

بفعل ما يأمره أو ينهى عنه.

وبهذا البخل بُعد عن الخيرية بقدره.

الفائدة السابعة والأربعون:

الإتيان بالفعل المضارع فقال (تُطْعِمُ) (تَقْرَأُ) ليفيد الاستمرار في ذلك فالفعل المضارع يفيد الاستمرار والمقصود به الاستمرار التجديدي في المستقبل، والمعنى أنه ليكن دائماً وعادتك على هذا الحال، في إطعام الطعام ولين الكلام وقراءة السلام على من عرفت ومن لم تعرف حتى تلقى الله على ذلك، وليس هذا مخصوصاً بوقت، ثم تتركه بعد ذلك.

فهي صفة ملازمة من صفات الأبرار المتقين المحسنين، قال الله عز وجل:

﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُدُودِ مَسْكِينِهِمْ وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [سورة الإنسان: ٨].

فهم مستمرّون دائمون على ذلك، محبة في الله وطمعاً فيما عند الله سبحانه وتعالى.

الفائدة الثامنة والأربعون:

أن كثرة الإطعام للناس ليس من الإسراف في شيء فقد روى ابن أبي شيبه في مسنده عن حمزة بن صهيب، أن صهيباً، صاحب رسول الله ﷺ كان يُكنى بأبي يحيى، وَيَزْعُمُ أَنَّهُ مِنَ الْعَرَبِ، وَيُطْعِمُ الطَّعَامَ الْكَثِيرَ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: مَا لَكَ يَا صُهَيْبُ تُكْنَى بِأَبِي يَحْيَى، وَلَيْسَ لَكَ ذَلِكَ، وَتَزْعُمُ أَنَّكَ مِنَ الْعَرَبِ، وَتُطْعِمُ الطَّعَامَ الْكَثِيرَ، وَذَلِكَ سَرَفٌ فِي الْهَالِ، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَنَانِي بِأَبِي يَحْيَى، وَأَمَّا قَوْلُكَ فِي النَّسَبِ، فَأَنَا رَجُلٌ مِنَ النَّمِرِ بْنِ قَاسِطٍ مِنْ أَصْلِ الْمُؤَصِّلِ، وَلَكِنِّي سُبَيْتُ غُلَامًا صَغِيرًا قَدْ غَقَلْتُ أَهْلِي وَقَوْمِي، وَأَمَّا قَوْلُكَ فِي

الطَّعَامُ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «خِيَارُكُمْ مَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَرَدَّ السَّلَامَ»،
فَذَلِكَ الَّذِي حَمَلَنِي عَلَى أَنْ أَطْعِمَ الطَّعَامَ". (١)

وذلك واضح يبيِّن، حيث أنه بعد أن ذكر صهيب ذلك لعمر، ترك عمرُ
الإنكارَ عليه في كثرة إطعامه، لما تبين له هذا الفضل العظيم، وأن ذلك ليس من
الإسراف في شيء.

الفائدة التاسعة والأربعون:

الحرص على تأليف القلوب وجمعها

قال ابن بطلال في شرح البخاري (١ / ٤٥):

"قال أبو الزناد: في هذا الحديث الحُض على المِوَاساة، واستِجْلاب قلوب الناس
بإطعام الطعام وبذل السلام، لأنه ليس شيء أجلب للمحبة وأثبت للمودة منهما،
وقد مدح الله المطعم للطعام، فقال: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ﴾ [الإنسان: ٨]
الآية، ثم ذكر الله جزيل ما أثابهم عليه، فقال: ﴿فَوَقَّاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ
نَضْرَةً وَسُرُورًا وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١١، ١٢]. اهـ

وقال النووي في شرح مسلم (٢ / ٣٦):

"وَالسَّلَامُ أَوَّلُ أَسْبَابِ التَّائَلُّفِ وَمِفْتَاحُ اسْتِجْلَابِ الْمَوَدَّةِ وَفِي إِفْشَائِهِ تَمَكُّنُ أَلْفَةِ
الْمُسْلِمِينَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ وَإِظْهَارُ شِعَارِهِمْ الْمُمَيِّزِ لَهُمْ مِنْ غَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْمِلَلِ مَعَ مَا

فِيهِ مِنْ رِيَاضَةِ النَّفْسِ وَلُزُومِ التَّوَاضُّعِ وَإِعْظَامِ حُرْمَاتِ الْمُسْلِمِينَ وَقَدْ ذَكَرَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي صَحِيحِهِ عَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: "ثَلَاثٌ مَنْ جَمَعَهُنَّ فَقَدْ جَمَعَ الْإِيمَانَ الْإِنْصَافُ مِنْ نَفْسِكَ وَبَذْلُ السَّلَامِ لِلْعَالَمِ وَالْإِنْفَاقُ مِنَ الْاِقْتَارِ". وَرَوَى غَيْرُ الْبُخَارِيِّ هَذَا الْكَلَامَ مَرْفُوعًا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ: «وَبَذْلُ السَّلَامِ لِلْعَالَمِ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ» وَإِفْشَاءُ السَّلَامِ كُلِّهَا بِمَعْنَى وَاحِدٍ، وَفِيهَا لَطِيفَةٌ أُخْرَى وَهِيَ أَنَّهَا تَتَضَمَّنُ رَفْعَ التَّقَاطُعِ وَالتَّهَاجُرِ وَالشَّحْنَاءِ وَفَسَادِ ذَاتِ الْبَيْنِ الَّتِي هِيَ الْحَالِقَةُ".

اهـ

الفائدة الخمسون:

بلاغه النبي ﷺ وفصاحته

إِذْ جَمَعَ النَّبِيُّ ﷺ فِي هَاتَيْنِ الْكَلِمَتَيْنِ كُلِّ هَذَا الْخَيْرِ الَّذِي تَذَاكُرْنَاهُ فِي هَذِهِ الْفَوَائِدِ، وَكَيْفَ لَا يَكُونُ ذَلِكَ وَقَدْ ثَبَتَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ» قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْبُخَارِيُّ: "بَلَّغَنِي أَنَّ جَوَامِعَ الْكَلِمِ: أَنَّ اللَّهَ يَجْمَعُ الْأُمُورَ الْكَثِيرَةَ، الَّتِي كَانَتْ تُكْتَبُ فِي الْكُتُبِ قَبْلَهُ، فِي الْأَمْرِ الْوَاحِدِ، وَالْأَمْرَيْنِ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ.

وهذا لا يخفى على كثيرٍ من الناس فهناك أحاديث يشرح بعض الأئمة أحدها في

مجلدات.

انتهى بفضل الله ومنته

فهرس الموضوعات

- أولا فوائد الإسناد ٥
- الفائدة الأولى: ٥

- ٥ أن رواته كلهم مصريون وهذا من الغرائب لأنه في غاية القلة.
- ٥ الفائدة الثانية:
- ٥ أن رواته كلهم أئمة أجلاء
- ٥ الفائدة الثالثة:
- ٥ أن كل واحد منهم كان مفتيًا لأهل مصر في زمانه؛ خلا عمرو ابن خالد.
- ٦ ثانيا فوائد الحديث:
- ٦ الفائدة الأولى:
- ٦ عظم الجمع بين هاتين الخصلتين:
- ٨ الفائدة الثانية والثالثة:
- ٨ أن السلام سلامة للسان
- ٨ وإطعام الطعام سلامة للبدن
- ٩ الفائدة الرابعة:
- ٩ باجتماع الإطعام وإفشاء السلام يجتمع الإحسان بالقول والفعل، وهو أكمل الإحسان.
- ١٠ الفائدة الخامسة:
- ١٠ أن الإحسان بالقول أعظم من الإحسان بالطعام، فإذا ساء القول؛ أبطل الإحسان بالعمل:
- ١٠ الفائدة السادسة:
- ١٠ أن أبواب الخير كثيرة ولا تكاد تحصى
- ١١ الفائدة السابعة:
- ١١ أن القليل من الخير قد يحصل به عظيم الأجر والثواب
- ١٢ الفائدة الثامنة:
- ١٢ أن السلام مما يقصد به وجه الله، فلا يتبع الإنسان فيه هواه

- الفائدة التاسعة: ١٢
- أَنَّ السَّلامَ أمان للناس فإذا سَلَّمْتَ أَمِنَ الناس منك، ووجب عليك تأمينهم مِنْ قَبْلِكَ فلا يجدون منك إِلَّا السَّلامَةَ. ١٢
- الفائدة العاشرة: ١٤
- أَنَّ السَّلامَ يصفو به الود ولهذا وجبت به الخيرية: ١٤
- الفائدة الحادية عشر: ١٤
- أَنَّ السَّلامَ من ينابيع الإيمان: ١٤
- الفائدة الثانية عشر: ١٥
- أَنَّ البداءة بالسَّلام سنة ولهذا رغب النبي ﷺ فيه: ١٥
- الفائدة الثالثة عشر: ١٥
- أَنَّ السَّلامَ في الحديث مقيَّد بالمسلم: ١٥
- الفائدة الرابعة عشر: ١٦
- أَنَّ السَّلامَ يخرج منه أهل البدع فلا يسلَّم عليهم: ١٦
- الفائدة الخامسة عشر: ١٦
- أَنَّ أفضل السَّلام من بدأهم بالسَّلام ١٦
- الفائدة السادسة عشر: ١٧
- أَنَّ مِنْ إقراء السَّلام؛ السَّلام على الصبيان ١٧
- الفائدة السابعة عشر: ١٨
- أَنَّهُ يخرج من ذلك تسليم الرجل على المرأة والعكس إِلَّا إذا أُمِنَت الفتنة ١٨
- الفائدة الثامنة عشر: ٢٠
- أَنَّ هذا السَّلام يدخل فيه سلامك لأهل بيتك وهو أكد فَإِنَّهُ سهم من سهام الإسلام. ٢٠

- الفائدة التاسعة عشر: ٢١
- أَنَّ السَّلامَ عَلَى مَنْ لَمْ يَعْرِفْ دَلِيلَ الْإِخْلَاصِ وَالْمُؤَانَسَةِ. ٢١
- الفائدة العشرون: ٢١
- أَنَّ مِنْ عِلَامَاتِ انْدِرَاسِ الْإِسْلَامِ أَلَّا يَسْلَمَ الْمَرْءُ إِلَّا عَلَى مَنْ يَعْرِفُ ٢١
- الفائدة الواحدة والعشرون: ٢٢
- أَنَّ السَّلامَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِتَحْرِيكِ الشَّفَتَيْنِ وَاللِّسَانِ ٢٢
- الفائدة الثانية والعشرون: ٢٢
- أَنَّ السَّلامَ يَجْلِبُ الْمَحَبَّةَ وَيُؤَدِّي إِلَى التَّآخِي. ٢٢
- الفائدة الثالثة والعشرون: ٢٣
- أَنَّ الطَّعَامَ يَشْمَلُ حَتَّى الْكَافِرَ مِمَّنْ هُوَ ذِمِّي أَوْ مُسْتَأْمِنٌ ٢٣
- الفائدة الرابعة والعشرون: ٢٣
- أَنَّ السَّلامَ الْمَقْصُودُ بِهِ قَوْلُ السَّلامِ عَلَيْكُمْ ٢٣
- الفائدة الخامسة والعشرون: ٢٤
- أَنَّ قَوْلَهُ: "وَتَقْرَأُ السَّلامَ" يَشْمَلُ الْمَكْتُوبَ ٢٤
- الفائدة السادسة والعشرون: ٢٤
- أَنَّ السَّلامَ يَنْتَهِي إِلَى (وَبَرَكَاتِهِ). ٢٤
- الفائدة السابعة والعشرون: ٢٥
- يَقْرَأُ السَّلامَ وَلَوْ دَخَلَ بَيْتًا غَيْرَ مَسْكُونٍ ٢٥
- الفائدة الثامنة والعشرون: ٢٦
- أَنَّ جَوَابَ النَّبِيِّ ﷺ يَخْتَلِفُ بِحَسَبِ حَاجَةِ النَّاسِ ٢٦
- الفائدة التاسعة والعشرون: ٢٧

- ٢٧..... أنَّ الإطعام يدخل فيه القليل والكثير، ولا يشترط فيه الإشباع
- ٢٧..... الفائدة الثلاثون:
- ٢٧..... أنَّ سقي الماء يدخل في إطعام الطعام
- ٢٩..... الفائدة الواحدة والثلاثون:
- ٢٩..... أن الإطعام يشمل النفقة على أهله إذا احتسب ذلك.
- ٢٩..... الفائدة الثانية والثلاثون:
- ٢٩..... أنَّ إطعام الطعام من أعمال البرِّ التي تقود إلى الجنة
- ٣١..... الفائدة الثالثة والثلاثون:
- ٣١..... أنَّ هذه الأعمال لا تغني عن صاحبها شيئاً إن لم يأت بأركان الإسلام والإيمان
- ٣٢..... الفائدة الرابعة والثلاثون:
- ٣٢..... أن هذه الأعمال لا تنفع صاحبها إلا مع الإخلاص
- ٣٣..... الفائدة الخامسة والثلاثون:
- ٣٣..... تقديم الفعل على القول في العطاء
- ٣٤..... الفائدة السادسة والثلاثون:
- ٣٤..... أن إطعام الطعام من صفات أهل الجنة والعكس
- ٣٥..... الفائدة السابعة والثلاثون:
- ٣٥..... أنَّ أعظم آلة للعطاء هما اليد واللسان
- ٣٦..... الفائدة الثامنة والثلاثون:
- ٣٦..... حرص الصحابة على أن يكونوا خير الناس
- ٣٩..... الفائدة التاسعة والثلاثون:
- ٣٩..... أنَّ من المسلمين من يكمل إيمانه ومنهم من لا يكمل

- ٤١..... الفايْدَةُ الأربَعونَ:
- ٤١..... أَنَّ الإسلامَ فيه خيرٌ وفيه أخيرٌ
- ٤٢..... الفايْدَةُ الواحدة والأربعونَ:
- ٤٢..... فضيلةُ السؤالِ عما يَنْفَعُ
- ٤٢..... الفايْدَةُ الثانية والأربعونَ:
- ٤٢..... سَمَاحَةُ هَذَا الدِّينِ وَعِظَمُ مَا يَدْعُو إِلَيْهِ
- ٤٤..... الفايْدَةُ الثَّالِثَةُ والأربعونَ:
- ٤٤..... أَنَّ الضَّعْفَ إِنْ حَصَلَ فَمِنَ الْمُسْلِمِينَ لَا مِّنَ الْإِسْلَامِ
- ٤٤..... الفايْدَةُ الرَّابِعَةُ والأربعونَ:
- ٤٤..... مَحَبَّةُ اللَّهِ لِمَنْ اتَّصَفَ بِهَذِهِ الْخِصَالِ
- ٤٤..... الفايْدَةُ الْخَامِسَةُ والأربعونَ:
- ٤٤..... أَنَّ الْجَمْعَ بَيْنَ الْخِصْلَتَيْنِ جَمْعٌ بَيْنَ الْعِبَادَاتِ الْمَالِيَةِ وَالْبَدَنِيَّةِ
- ٤٦..... الفايْدَةُ السَّادِسَةُ والأربعونَ:
- ٤٦..... أَنَّ مَنَ تَرَكَ هَذِهِ الْخِصَالَ ابْتَعَدَ عَنِ الْخَيْرِيَّةِ بِقَدَرٍ بَعْدَهُ
- ٤٧..... الفايْدَةُ السَّابِعَةُ والأربعونَ:
- ٤٧..... الْإِتْيَانُ بِالْفِعْلِ الْمَضَارِعِ فَقَالَ (تُطْعَمُ) (تَقْرَأُ) لِيَفِيدَ الْاسْتِمْرَارَ فِي ذَلِكَ
- ٤٧..... الفايْدَةُ الثَّامِنَةُ والأربعونَ:
- ٤٧..... أَنَّ كَثْرَةَ الْإِطْعَامِ لِلنَّاسِ لَيْسَ مِنَ الْإِسْرَافِ فِي شَيْءٍ
- ٤٨..... الفايْدَةُ التَّاسِعَةُ والأربعونَ:
- ٤٨..... الْحَرَصُ عَلَى تَأْلِيفِ الْقُلُوبِ وَجَمْعِهَا
- ٤٩..... الفايْدَةُ الْخَمْسُونَ:

٤٩.....	بلاغة النبي ﷺ وفصاحته
٥٠.....	فهرس الموضوعات